لا استطاعة لهم ولا قدرة على النصر واتخذوهم لينصروهم عند الله او يشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار وقرئ فلا يحزنك بفتح اليا وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاوهم فانا عالمون ما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه حاله وحالهم في الاخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتغلغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شي وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله ان يتصدى على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحل ويقول من يقدر على احيا الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصفة به وهو منشأ من موات وهو المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي ابن خلف الجمحي وابو جهل والعاص ابن وائل والوليد ابن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله تعالى على احيا الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام لا يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يونث وقد وقع خبرا لمونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يوثر فيها من قبل ان الحياة تحلها وان اصحاب ابو حنيفه

فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يوثر فيها الموت ويقولون المراد باحيا العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شي من خلق المنشات والمعادات ومن اجناسها وانواعها ودقائقها وجلائلها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب ولذلك يتخذ منه كذ[ين]بات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضرا على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق السموات والارض على عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر ان يخلق مثلهم في الصغر والقماة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به وهو الخلاق الكبير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شانه اذا اراد شيا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شي من المكونات وانه بمنزلة المامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فان قلت فما وجه القراتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى لانه لا يجوز عليه شي مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيا مما يقدر عليه من المباشرة بمحال القدر واستعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقات والتعب واللغوب انما امره وهو القياد العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شي هو مالك كل شي والمتصرف فيه بمواجب مشيته وقضاياه

Copyright © King Saud University